حَديثُ القرآن
عَنْ مَفهُومِ الفِسْق وَصُوَره

د. شافع ذيبان الحريري *

---

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الشريعة واللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - إمارة رأس الخيمة.

ملخص البحث:

- الفسق: مفهوم إسلامي، يقصد به الخروج عن أمر الله وطاعته، سواء بالترك أو العصيان. وقد وردت كلمة (فسق) في عدة آيات من القرآن الكريم، واستعمل مفهومها – مقابلاً للإيمان – على معانٍ متنوعة، منها: الكفر، والشرك، والنفاق، وعلى أنواع من المعصية، وعلى كلٍّ ما فيه خروج عن الإسلام.
- مفهوم الفسق أعمُّ من مفهوم الكفر، فيقال للعاصي: فاسق، وللمنافق فاسق، وللمشرك فاسق، وللكافر فاسق. لخروجهم عمّا ألزمه العقل، واقتضته الفطرة. وهو على نوعين: فسق اعتقاد، وفسق عمل.
- يأتي الفسق بمعنى الكفر بحسب الأسباب الموجبة له من التكذيب بالرسل والتحريف والتبديل في الكتب السابقة، والكفر برسالة محمد، واليوم الآخر، واتباع شرع غير شرع الله، واتباع الحيل في استحلال ما حرّم الله سبحانه، والكفر بالقرآن العظيم.
- ويأتي بمعنى الشرك، بسبب الاستقسام بالأزلام والذبح لغير الله تعالى، وصرف العبادة للشركاء من دونه سبحانه وتعالى.
- وصف سبحانه وتعالى المنافقين بالفسق، لما يتصفون به من صفات قبيحة، وخصال ذميمة: كالكذب في الحديث، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، ونقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض، والنهي عن المعروف، والأمر بالمنكر، وموالاة الكافرين، والتخلف عن الجهاد.
- وأحياناً يأتي الفسق بمعنى العصيان، من مثل: عصيان بني إسرائيل لأمر موسى – عليه السلام – بدخول الأرض المقدسة وإيذائهم له، وكذلك بإتيان المعاصي أثناء الإحرام بالحج، وفعل الفواحش، وعمل الخبائث، وكفران النعمة، والقذف، والتنابز بالألقاب، واحتقار الناس.
- عواقب الفسق وخيمة بكلٍّ أنواعه وأقسامه، سواء أكان ذلك بالعقوبة الدنيوية من تسلط الأعداء، والقتل والأسر، والهلاك، والحيرة والشك، والقلق والاضطراب. أم بالعقوبة الأخروية بأشد العذاب.

- الفاسق فسق كفر مصيره إلى النار، والفاسق فسق معصية فهو إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه. ولم يخالف في هذا الأصل إلا المعتزلة، فقد اعتبروا الفسق بمنزلة بين المنزلتين، (لاهو مؤمن، ولا هو كافر)، وصاحبه مخلّد في النار. وكذلك خالف الخوارج في الفاسق المرتكب للكبيرة، وحكموا بكفره، مخالفين في ذلك جمهور أهل السنة وإجماعهم.

مقدمة:

الفسق مفهوم إسلامي، يقصد به الخروج عن أمر الله وطاعته سواءً بالترك أو العصيان. وقد وردت كلمة الفسق في آيات القرآن، واستعمل مفهومها مقابلاً للإيمان، بعدة معان، منها: الكفر، والشرك، والنفاق، وعلى أنواع من المعصية، وعلى كل ما فيه خروج عن الإسلام.

لذا تتجه هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الفسق في القرآن الكريم، ومعناه في اللغة، وفي الاستعمالات الشرعية، وفي بيان أن مفهوم الفسق يستوعب المعنى اللغوي استيعاباً كاملاً، ويتعداه من المعنى العام للغة، إلى المعنى الخاص للكلمة حسب ورودها في السياق، وذلك بإسقاط المعنى العام على أقسامه في معنى الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى. إذْ أن هذا الخروج تارة يكون بالكفر، وأخرى بالشرك، وثالثة بالنفاق، ورابعة بالعصيان.

وهذا التقسيم الخاص على المعنى العام، وظيفة الآيات القرآنية التي تحدد المعنى المراد من مفهوم الفسق في كل آية ترد بها كلمة (فسق) أو مشتقاتها، حسب ما تقتضيه الحالات، والوقائع، بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت.

وفي هذه الدراسة محاولة اجتهادية للوصول إلى المعاني السابقة من خلال استقراء النصوص القرآنية التي وردت فيها مادة (فسق)، وبيان الأسباب التي من أجلها وصم أصحابها بالفسق، وما حاق بهم من سوء العذاب في الدنيا وما توعدوا به من عذاب الحريق في الآخرة.

وذلك بما يعود بالفائدة على القارئ الكريم، في معرفة وتحديد معنى الفسق الوارد في آيات القرآن، وأسبابه الموجبة له، ونتائجه المترتبة عليه، فيتحرز عن الوقوع في أسبابه، ليتجنب آثاره وعواقبه الدنيوية والأخروية.

وقد قسمت هذه الدراسة: إلى تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على الشكل التالي:

تمهيـد: عرّفت فيه مفهوم الفسق من ناحية اللغة، وفي الاستعمال الشرعي، وأنواعه وأقسامه.

المبحث الأول: الفسق بمعنى الكفر.

المبحث الثاني: الفسق بمعنى الشرك.

المبحث الثالث: الفسق بمعنى النفاق.

المبحث الرابع: الفسق بمعنى العصيان.

خاتمـة: تضمنت خلاصة البحث.

وقد رتبت الآيات التي استشهدت بها في العناوين التي تدخل ضمن المبحث الواحد، حسب ترتيبها في القرآن الكريم من ناحية السور والآيات.

وأحب أن أنوِّه إلى أنك ستجد تداخلاً في المعاني في مفهوم الفسق في آية واحدة. بمعنى أنه قد يأتي مفهوم الفسق في آية من الآيات متضمناً لعدة معانٍ من مثل: الكفر، النفاق، والشرك. فكان الاستدلال بالآية حسب المعاني التي وردت في اللفظة الواحدة في عدة مواضع من هذا البحث، لذا لزم التكرار أحياناً.

والحق، أن كلمة الفسق قد تعرض لها بعض العلماء قديماً في مباحث العقائد – ولكن باختصار وبغير الصورة التي طرحتها – من مثل ابن تيمية رحمه الله، حيث تكلم عن الفاسق الملي، ودخوله تحت مسمى الإيمان المطلق، خلافاً للمعتزلة الذين يخلدونه في النار(١).

وكذلك تناولت كتب الفقه قديماً وحديثاً أحكام الفاسق وأثر الفسق في الإمامة الكبرى، وفي رواية الحديث، والشهادة، والفتوى، والحضانة، والمعاملات، والتوبة، وولاية النكاح، وفي إمامة الناس في الصلاة(٢).

---

(١) انظر: الفتاوى، ٢٤١/٧، طبع ونشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض. وشرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس: ١٦٣-١٦٤، طبع ونشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، ١٤٢/٣٢-١٤٥، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ١٤١٥هـ.

تمهيد:

قال ابن فارس[(١)]: «الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق. والفسق: هو الخروج عن الطاعة. تقول العرب: فسقت الرُّطبة عن قشرها، إذا خرجت» قال أبو زكريا[(٢)]: «والفسق: العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن الطريق الحق»[(٣)].

وقيل: الفسوق، الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية. قال الفراء: في قوله عز وجل: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[(٤)]، أي خرج عن طاعة ربه. والعرب تقول - إذا خرجت الرُّطبة من قشرها: قد فسقت الرُّطبة من قشرها. والفسق: الخروج عن الأمر. وفسقَ عن أمر ربه: أي خرج.

وقال ابن الأعرابي: «لم يُسمع - قَطُّ - في كلام الجاهلية، ولا في شعرهم فاسق»[(٥)].

وحكى شمر[(٦)] عن قطرب[(٧)]: فسق فلان في الدنيا فِسقاً إذا اتسع فيها

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، المالكي اللغوي. المعروف بالرازي، ت٣٩٥هـ [سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/١٠٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١].

(٢) أبو زكريا، يحيى بن زياد الأسدي مولاهم، الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، صاحب كتاب (معاني القرآن) ت٢٠٧هـ [سير أعلام النبلاء: ١٠/١١٨].

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ٤/٥٠٢، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١م.

(٤) الكهف: الآية ٥٠.

(٥) ما قاله ابن الأعرابي ليس على إطلاقه، فقد خالفه في ذلك كثير من أهل العلم، وورد في كلام العرب قولهم: «فسقت الرُّطبة من قشرها». وذكر أبو بكر بن الأنباري في كتابه «الزاهر» لما تكلم على معنى الفسق قول الشاعر:

يذهبن في نجد وغوراً غائرا   فواسقاً عن قصدها جوائرا

[الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/٤٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ط١].

(٦) أبو عمرو شَمَّرُ بن حمدويه الهروي، كان عالماً، فاضلاً، ثقة، نحوياً، لغوياً، راوية للأخبار والأشعار، أخذ عن ابن الأعرابي، والأصمعي، والفراء. [معجم الأدباء: ١١/٢٧٤].

(٧) محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي المعروف بقطرب، البصري النحوي اللغوي، سمي قطرباً، لأنه كان يبكر إلى سيبويه سحراً، رآه على بابه فقال له يوماً: ما أنت إلا قُطْرُبُ ليلٍ، والقُطرب: دويبة تدبُّ ولا تفتر، فلقب بذلك، وهو أحد أئمة النحو واللغة. ت٢٠٦هـ [معجم الأدباء، ياقوت الحموي: ١٩/٥٢، دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ط٣].

وهوّن على نفسه، واتسع بركوبه لها، ولم يضيقها عليه. وقد يكون الفسوق شركاً، ويكون إثماً. وسميت الفأرة: فويسقةً - تصغير فاسقة - لخروجها من حجرها على الناس وإفسادها[١].

وفي الحديث: (خمسٌ فواسِقُ[٢]، يُقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقعُ[٣]، والفأرة، والكلب العقور[٤]، والحُديا[٥])[٦].

وقال الراغب الأصفهاني: فسق فلان، خرج عن حَجْرِ الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره، وهو أعم من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير. لكن تُعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال: الفاسق، لمن التزم حكم الشرع، وأقرّ به، ثم أخل بجميع أحكامه، أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق. فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة[٧].

والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: «الخروج من طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بالكفر وعلى من خرج بعصيان»[٨]. وقد وردت كلمة (الفسق) ومشتقاتها: مفردة، ومقرونة بغيرها، في كتاب الله تعالى، أربعاً وخمسين مرة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ١٠/٣٠٨ - مادة فسق - طبعة دار صادر، بدون تاريخ.

(٢) قال ابن الأثير: «إنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن، وقيل: لخروجهن من الحرمة في الحل والحرم، أي لاحرمة لهن بحال». [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣/٤٤٦، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ].

(٣) الغراب الأبقع: هو الذي في ظهره وبطنه بياض [شرح صحيح مسلم، للنووي: ٤/ ٣٧٦، دار أبي حيان، دبي، ١٤١٥هـ، ط١].

(٤) العقور: هو كل سبع يعقر: أي يجرح ويقتل ويفترس، كالأسد، والنّمر، والذئب. سماها كلباً لاشتراكها في السَّبُعيَّة. [النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٢٧٥].

(٥) الحُديا: تصغير حدأة، والحدأة هي أخس الطير. يخطف الأفراخ، وصغار أولاد الكلب. وربما يخطف مالا يصلح له إن كان أحمر، يظنه لحماً. [شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٧٦].

(٦) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيرهُ قتله من الدواب في الحل والحرم: ٢/٨٥٦.

(٧) الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني[سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٢٠].

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٤٥ -٢٤٦، الطبعة الثالثة - دار الكتب المصرية -.

قال القرطبي: والفسق نوعان: فسق في الاعتقاد، وفسق في العمل.

أما فسق الاعتقاد، فينقسم إلى قسمين:-

أ - فسق اعتقاد وبدعة يخرج صاحبه من الدين، كمن يعتقد أن القرآن من كلام محمد ﷺ، وليس وحياً من عند الله تبارك وتعالى، أو يقول: إن الدين ظاهرة اجتماعية. فهذا كافر، وترد شهادته.

ب - فسق ببدعة اعتقادية دون الكفر، كأهل الأهواء من الرافضة والخوارج والمعتزلة والقدرية وغيرهم.

النوع الثاني، فسق العمل: أيضاً يقسم إلى قسمين:

أ - فسق العمل المفضي إلى الكفر، وذلك باستحلال الحرام، والاستهزاء بأحكام الدين.

ب - فسق دون الكفر، وذلك بارتكاب المعاصي والتهاون بها، ومثاله الزنا، والقتل، واللواط، وشرب الخمر، والقذف، والتولي يوم الزحف، وأكل الربا [١].

أما من خرج من طاعة الله بعصيان، فيسمى فاسق ملّي، وهو من أتى كبيرة أو أصرّ على صغيرة. والملي: هو من على ملة الإسلام ولم يرتكب من المعاصي ما يوجب كفره[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه لأصول أهل السنة والجماعة: «ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق[٣] كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[٤]. وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى:

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان: ٦٦٨ - ١٤٠٢هـ - ط١١.

(٢) المصدر السابق: ٦٦٧.

(٣) الإيمان المطلق: هو الذي لا يتقيد بمعصية ولا فسوق ولا نقص ونحو ذلك، ويقال له: الإيمان الكامل، وهو الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، وأما مطلق الإيمان فهو ما كان معه ترك واجب أو فعل محرم. [الكواشف الجلية عن معاني الواسطية]: ٦٦٨-٦٦٩.

(٤) النساء / ٩٢.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[١]، وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»[٢]. ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم» أ. هـ[٣].

وكرر ابن تيمية ذلك في فتاويه وأضاف: «وعلى هذا فالخطاب بالإيمان يدخل فيه (ثلاث طوائف): يدخل فيه المؤمن حقاً، ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة، وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهو في الباطن ينفي عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبت له الإسلام والإيمان الظاهر، ويدخل فيه الذين أسلموا وإن لم تدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم جزء من الإيمان والإسلام يثابون عليه»[٤].

وفيما يأتي من المباحث نجد صوراً من الفسق الملي وغير الملي كما فصلته آيات القرآن المجيد.

---

(١) الأنفال / ٢.
(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود: ٤/٢١١٥، ح ٦٧٧٢.
(٣) شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل هراس: ١٦٣-١٦٥.
(٤) مجموع الفتاوى، كتاب الإيمان: ٧/٢٤١.

المَبْحَثُ الأوَّل
الفسق بمعنى الكفر

جاءت الآيات القرآنية – في كثير منها – تحمل في طياتها مظاهر متعددة لوصف الفسق تؤول في وصفها إلى معنى الكفر، وذلك لتنوع الأسباب المفضية إلى ذلك الوصف.

ومن هذه الأسباب:

(أ) التكذيب بنبوة محمد ﷺ ورسالته:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ علامات واضحات دالة على نبوته، وتلك الآيات: ما حواه كتاب الله الذي أنزله على نبيه من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم، فكان موقف اليهود التكذيب بنبوة محمد ﷺ حسداً من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[(١)].

قال الطبري – رَحِمَهُ الله –: فتأويل (الآية) ولقد أنزلنا إليك فيما أوحينا إليك من الكتاب، علامات واضحات، تبين لعلماء بني إسرائيل وأحبارهم – الجاحدين نبوتك، والمكذبين رسالتك – أنك لي رسولٌ إليهم، ونبيٌ مبعوث، وما يجحد تلك الآيات، الدالات على صدقك ونبوتك، التي أنزلتها إليك في كتابي فيكذب بها منهم، إلا الخارج منهم من دينه، التارك منهم فرائضي عليه في الكتاب الذي يدين بتصديقه[(٢)].

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هذا جواب لابن صوريا القطيوني[(٣)] حيث قال لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما

---

(١) البقرة: ٩٩.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن: ١/٤٨٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

(٣) أحد علماء اليهود بالمدينة في عهد النبي ﷺ.

جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها ؟ فأنزل الله هذه الآية[١].

- وقال تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٢].

قال الشوكاني: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ هم العاصون في الكفر[٣].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٤]. قال ابن جرير (وأكثرهم الفاسقون) يعني: الخارجون عن دينهم. وذلك أن من دين اليهود: اتباع ما في التوراة والتصديق بمحمد ﷺ، ومن دين النصارى: اتباع ما في الإنجيل، والتصديق به وبما في التوراة، وفي كلا الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته ومبعثه: وأنه نبي الله، وكلتا الفرقتين - أعني اليهود والنصارى - مكذبة، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به[٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[٦]. هذه الآية نزلت في المنافقين. وسبب منع قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٧]. وعلى هذا فالفسق هنا بمعنى الكفر.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن: ١/٤٨٦.
(٢) آل عمران: ٨٢.
(٣) فتح القدير: ١/٣٥٧.
(٤) آل عمران: ١١٠.
(٥) جامع البيان: ٣ / ٣٩٢.
(٦) التوبة: ٥٣.
(٧) التوبة: ٥٤.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾(١).

أمر الله تعالى رسوله أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحدٍ منهم مات، ولا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه(٢).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول، جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكّفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾(٣) وسأزيد على سبعين» قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾(٤) فترك الصلاة عليهم(٥).

- وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾(٦).

---

(١) التوبة: ٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٦١٣.
(٣) التوبة: ٨٠.
(٤) التوبة: ٨٤.
(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة: ٤/١٨٦٥.
(٦) الحديد: ٢٦، ٢٧.

قال القرطبي: وفي الآية تسلية للنبي ﷺ، أي إن الأولين أصروا على الكفر - أيضاً - فلا تعجب من أهل عصرك إن أصروا على الكفر، وقيل: هؤلاء الذين أدركوا محمداً ﷺ فلم يؤمنوا به فأولئك هم الفاسقون(١).

وقد روى الطبراني في معجمه حديثاً بهذا المعنى فقال: (حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي ثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم حدثني بكير ابن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود، قلت: لبيك، ثلاثاً. قال: هل تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم» قال: الولاية في الله، والحب في الله، والبغض في الله، قال: يا ابن مسعود قلت: لبيك يا رسول الله. قال: أي المؤمنين أفضل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: إذا عرفوا دينهم أحسنهم عملاً. ثم قال: يا ابن مسعود، هل تدري أي المؤمنين أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: إذا اختلفوا - وشبك بين أصابعه - أبصرهم بالحق، وإن كان في عمله تقصير، وإن كان يزحف زحفاً). ثم قال: يا ابن مسعود، هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق: فرقة أقامت في الملوك والجبابرة، فدعت إلى دين عيسى فأخذت، فقتلت بالمناشير، وحرقت بالنيران، فصبرت حتى لحقت بالله، ثم قامت طائفة أخرى، لم تكن لهم قوة، ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال، فتعبدت، وترهبت، وهم الذين ذكرهم الله: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله» إلى «وكثيرا منهم فاسقون» وفرقة منهم آمنت. فهم الذين آمنوا وصدقوني. وهم الذين رعوها حق رعايتها. (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين لم يؤمنوا بي، ولم يصدقوني، ولم يرعوها حق رعايتها، وهم الذين فسقهم الله»)(٢).

- وقال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٢٥٥

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠/١٧١. وذكره العقيلي في الضعفاء، ولكن من طريق آخر. انظر: الضعفاء للعقيلي: ٣/٤٠٨.

(٣) الحشر: ٥.

والمقصود بالفاسقين هنا: اليهود. لأنهم كفروا بالله وبنبيه وكتبه، فأجلاهم الله سبحانه وتعالى عن ديارهم - يهود بني النضير- وجعل أموالهم غنيمة للمسلمين. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١).

(ب) التحريف والتبديل:

عرّض القرآن الكريم ببني إسرائيل الذين عصوا أمره وخرجوا عن طاعته، عندما أمرهم ربهم بدخول بيت المقدس شاكرين الله، داعين له بحط الخطايا عنهم وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

إلا أنهم غيروا وبدلوا كلاماً آخر غير الذي أمروا أن يقولوه، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾(٣). قال الإمام مسلم: (حدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر بن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم. فبدلوا. فدخلوا الباب يزحفون على أستاهم، وقالوا: حبة في شعرة)(٤).

فكانت نتيجة فسقهم: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾(٥).

---

(١) الحشر: ٤.
(٢) البقرة: ٥٨.
(٣) البقرة: ٥٩.
(٤) صحيح مسلم، كتاب التفسير: ٤/٢٣١٢، ح ٣٠١٥.
(٥) البقرة ٥٩.

والرجز هو العذاب، كما ذكره ابن كثير عن الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في كتاب الله من الرجز، يعني به العذاب[١].

ولما تطاولت الأزمنة على بني إسرائيل - بينهم وبين أنبيائهم - قست قلوبهم، فتركوا العمل بما أنزل عليهم، وحرّفوا وبدّلوا، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فوصمهم سبحانه وتعالى بالفسق، وهو الخروج عن أمر الله وطاعته إلى الكفر به. قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٢].

(جـ) اتباع شريعة غير شريعة الله والخروج عن منهجه وطاعته:

قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣].

(روى الإمام مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب. قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحمماً[٤] مجلوداً. فدعاهم (فقال: «هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم " قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم. فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟» قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم. ولكنه كثر في أشرافنا. فكنا، إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف، أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أوّل من أحيا أمرك إذْ أماتوه» فأمر به فرجم. فأنزل

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٥٦.
(٢) الحديد: ١٦.
(٣) المائدة: ٤٧.
(٤) (محمماً): أي مسوّد الوجه من الحممه وهي: الفحمة. والأحم: الأسود من كل شيء، وحمّم: سخم الوجه به. القاموس المحيط، باب الميم فصل الحاء: ٤/١٤٠ - دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١ ط ١.

الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾[1]، إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾[2]. يقول: ائتوا محمداً ﷺ. فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرّجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[3]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5]. في الكفار كلها[6].

فهذه الأوصاف الثلاثة: الكافرون، الظالمون، الفاسقون، كلها لموصوف واحد، في الكفار، كلها لحديث البراء بن عازب آنف الذكر. ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[7].

(د) الكفر بالقرآن العظيم، وما جاء به الرسل:

وصم سبحانه وتعالى أهل الكتاب بالكفر، لتكذيبهم بالقرآن الكريم، وقد أمروا أن يؤمنوا به ويتبعوا أحكامه:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[8] قال الآلوسي: أي متمردون

---

(١) المائدة: ٤١.
(٢) المائدة: ٤١.
(٣) المائدة: ٤١.
(٤) المائدة: ٤٥.
(٥) المائدة: ٤٧.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة: ٣/١٣٢٧، ح ١٧٠٠..
(٧) المائدة: ٤٩.
(٨) المائدة: ٥٩.

خارجون عن دائرة الإيمان بما ذكر، فإن الكفر بالقرآن العظيم، مستلزم للكفر بسائر الكتب كما لا يخفى(١).

وقد كذبت الأمم السابقة برسلهم وبالآيات المعجزة التي جاؤوا بها فأخذهم الله بذنوبهم وبسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾(٢).

قال النسفي: «مسهم العذاب بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله بالكفر». وقال ابن عباس: يفسقون: بمعنى يكفرون(٣).

(هـ) اتباع الحيل في استحلال ما حرّم الله سبحانه وتعالى:

إن من الفسق المفضي إلى الكفر: اتباع الحيل في تحليل الحرام أو تحريم الحلال تعمداً، كما كان يفعل اليهود في استحلال ما حرّم الله. قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾(٤)

قال ابن كثير: يقول: بفسقهم عن طاعة الله، وخروجهم عنها. وهؤلاء قومٌ احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة، التي معناها في الباطن تعاطي الحرام، وقد قال الإمام أبو عبدالله ابن بطة(٥)- رَحِمَهُ الله -: حدثنا أحمد بن محمد بن سلم ثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ثنا

---

(١) روح المعاني: ٦/١٧٣.
(٢) الأنعام: ٤٩.
(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٣/٤٢.
(٤) الأعراف: ١٦٣.
(٥) ابن بطة، أبو عبدالله، عبيدالله بن محمد بن حمدان العُكبري، الحنبلي، مصنف كتاب «الإبانة الكبرى»، ت٣٧٨، [سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٥٢٩].

يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) أ.هـ[1].

قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد، فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه، وباقي رجاله مشهورون ثقات، ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيراً»[2].

وقال الطبري: أخذ الله الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله، فأحل بهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد (بما كانوا يفسقون) يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو الفسق[3].

(و) النكث بعهد الله وميثاقه الأول:

قصّ الله تعالى على نبيه ﷺ خبر الأمم السابقة وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بيّن لهم الحق بالحجج على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، لكنهم خرجوا عن الطاعة والامتثال، ونكثوا بالعهد الذي أخذه عليهم وهم في الأصلاب - بأنه ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو - فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة.

قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[4].

أي ما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من عهد، أي: من

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٤٢٣.
(٢) المرجع السابق: ٢/٤٢٣.
(٣) تفسير الطبري: ٩ / ٩٩.
(٤) الأعراف: ١٠٢.

ثبات والتزام، لوصية الله، التي أوصى بها جميع العالمين، ولا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على ألسنة رسله. ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ أي، خارجين عن طاعة الله، متبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، فالله تعالى امتحن العباد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وأمرهم باتباع عهده وهداه، فلم يمتثل لأمره إلا القليل من الناس الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة. وأما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، واستكبروا عما جاءت به الرسل، فأحل الله بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل(١).

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٢).

قال الطبري: «وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له، كافرون بربهم خارجون عن طاعته»(٣).

وقال القرطبي: «وكل كافر فاسق، ولكنه أراد – ههنا – المجاهرين بالقبائح ونقض العهد»(٤).

(ز) تكذيب الأقوام لرسلهم والكفر بهم:

كذب فرعون وقومه موسى عليه السلام وكفروا به، كما كفرت من قبلهم قوم نوح، فوصمهم سبحانه وتعالى بالفسق والخروج على أمر الله ورسوله.فعن قوم نوح قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٥). فكان عاقبتهم الهلاك، وأغرقهم الله سبحانه وتعالى جزاء كفرهم بنبيهم نوح وخروجهم عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢٦١.
(٢) التوبة: ٨.
(٣) تفسير الطبري: ٦ / ٣٢٧.
(٤) تفسير القرطبي: ٨ / ٧٩.
(٥) الذاريات: ٤٦.

ووصف قوم فرعون بالفسق - أيضاً - فقال عز من قائل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾[١].

وقال: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾[٢].

وسبب فسق (كفر) فرعون وملئه: تكذيبهم بنبوة موسى عليه السلام وجحدهم للآيات التسع[٣] التي جاء بها دليلاً على نبوته بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً، فكان عاقبة أمرهم الإغراق لهم في البحر على تلك الصفة الهائلة.

وأخبر سبحانه وتعالى عن تصرفات فرعون وتكبره: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾[٤].

وسبب فسقهم: طاعتهم لفرعون في تكذيبه لموسى عليه السلام، واستهزائه به وقوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥]، فكانت النتيجة: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٦].

---

(١) النمل: ١٢.
(٢) القصص: ٣٢.
(٣) الآيات التسع هي: العصا، واليد، والفلْق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقص في مزارعهم. [فتح القدير للشوكاني: ٤ / ١٢٧ - ١٢٨].
(٤) الزخرف: ٥٤.
(٥) الزخرف: ٥١.
(٦) الزخرف: ٥٥.

(ح) رد الأمر الإلهي ورفضه تكبراً:

عندما تكبّر إبليس على آدم وعصى ربه وردّ أمره، طرده من الجنة ومن رحمته، ولعنه، وأعدّ له عذاباً عظيماً، جزاء فسقه وخروجه عن طاعة ربه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[1].

(ط) التكذيب باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[2].

وكفرهم بسبب تكذيبهم بوعد الله ووعيده وعذابه، فكانت نتيجة تكذيبهم مقامهم في النار، لا يستطيعون الخروج منها، وقد وعدهم أن يدخلوها، بعد أن سماها بالوصف الذي وصفهم به (الفسق)، فسماها دار الفاسقين: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3]. قال الشوكاني: «(دار الفاسقين) دار الكفار، وهي نار الله التي أعدها لأعدائه، كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غداً إلام يصير إليه حال من خالف أمري على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره»[4].

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) السجدة: ١٨، ١٩، ٢٠.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) فتح القدير: ٢ / ٢٤٦.

المَبْحَثُ الثانِي
الفسق بمعنى الشرك

ثم إن الفسق يأتي بمعنى الشرك، وذلك بسبب الخروج عن أمر الله ونهيه، بارتكاب المحرمات، مثل الاستقسام بالأزلام، والذبح لغير الله سبحانه وتعالى، أو صرف شيء من العبادة لغير الله عز وجل، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

(أ) الفسق بسبب الاستقسام بالأزلام[١]:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[٢].

قال ابن كثير: «﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك»[٣]. وقال السعدي «(ذلكم فسق) الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات التي حرمها الله، صيانة لعباده، وأنها فسق، أي خروج عن طاعته، إلى طاعة الشيطان»[٤].

(ب) الذبح لغير الله والإهلال بغير اسمه شرك:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٥]. قال ابن الجوزي ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: يعني، وإنَّ أكل ما لم يذكر عليه اسم الله

---

(١) الأزلام: في اللغة: جمع زلم، وهي القدح الذي لا ريش له، والزلم والسهم والقدح مترادفة المعاني. والأزلام كانت لقريش في الجاهلية، مكتوب عليها: افعل، أو لا تفعل. وكان أهل الجاهلية يستقسمون بها في أمور حياتهم. [انظر لسان العرب، مادة (زلم) وفتح الباري ٨/٢٧٧، ط البحوث العلمية بالرياض].

(٢) المائدة: ٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢ / ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن: ١٨٣.

(٥) الأنعام: ١٢١.

لفسق، أي خروج عن الحق والدين»[١]، وهذا فيما ذكر عليه اسم غير الله، كالذي يذبح للأصنام وآلهة المشركين. فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصاً. قال تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٢]. قال ابن الجوزي: سمي ما ذكر عليه غير اسم الله فسقاً، والفسق: الخروج من الدين[٣].

(جـ) صرف العبادة لغير الله تعالى:

لما تمرد المشركون وخرجوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى وعبدوا مع الله آلهة أخرى، واستمروا في الشرك، وصرفوا العبادة إلى من لا يستحقها من الآلهة المزعومة، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فقد حق عليهم وصف الفسق فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

ففي هذه الآية يحتج سبحانه وتعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته، وربوبيته على وحدانية ألوهيته. فهو سبحانه الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته، فيخرج منها حباً وعنباً وقضباً وحدائق غلباً، وهو الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباهرة، وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، وهم – أي المشركون – يعلمون ذلك ويعترفون به. إذاً فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء. فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء فسقة من ساكني النار.

---

(١) زاد المسير: ٣ / ١١٥.
(٢) الأنعام: ١٤٥.
(٣) زاد المسير: ٣ / ١٤٠.
(٤) يونس: ٣١-٣٣.

المَبْحَثُ الثَالِث
الفسق بمعنى النفاق

وأحياناً يأتي مفهوم الفسق في القرآن الكريم بمعنى النفاق، وقد وردت آيات كثيرة بهذا المعنى، وذلك لما يتصف به المنافقون من صفات الفسق القبيحة، كخصلة الكذب في الحديث وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، ونقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والنهي عن المعروف والأمر بالمنكر والإفساد في الأرض، على ما سنبينه فيما يأتي:

(أ) نقض عهد الله من بعد ميثاقه:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال السعدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: يضل به كثيراً يعني به المنافقين، ويهدي به كثيراً يعني به المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً[2].

وقال الرازي: «(فأما الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون، والذين كفروا،

(١) البقرة: ٢٦، ٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ١٠٣.

يحتمل المشركون، لأن السورة مكية، فقد جمع الفريقان هاهنا. إذا ثبت هذا فنقول: احتمال الكل - هنا - قائم، لأن الكافرين والمنافقين واليهود، كانوا متوافقين في إيذاء الرسول، وقد مضى من أول السورة إلى هذا الموضع، ذكر اليهود، وذكر المنافقين، وذكر المشركين، وكلهم من الذين كفروا»(١).

وقال أبو جعفر الطحاوي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قال: «هي ست خلال في أهل النفاق، إذا كانت لهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخلال الست جميعاً: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخلال الثلاث: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا»(٢).

لهذه الخصال مجتمعة وصم الله سبحانه وتعالى المنافقين بالفسق. ويرى ابن جرير الطبري، أن الآية وإن نزلت في أحبار اليهود إلا أنها تشمل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم(٣).

(ب) مولاة الكافرين:

يعرّض القرآن الكريم باليهود ويصفهم بالنفاق للمشركين، بموالاتهم لهم، وهم ليسوا على دينهم. ولكن جحوداً لرسالة محمد ﷺ وكفراً بربهم، ونفاقاً، يوالون المشركين ويزينون لهم دينهم الباطل فقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) مفاتح الغيب، الرازي، محمد بن عمر بن الحسين: ١/ ٥٣٤، دار الغد العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ، ط١.
(٢) جامع البيان: ١/ ٢٢١.
(٣) تفسير الطبري: ١ / ٤١٢.

﴿وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[1].

قال الألوسي: «أي خارجون عن الدين أو متمردون في النفاق مفرطون فيه»[2].

وقال القرطبي: «يدل هذا على أن من اتخذ كافراً ولياً فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده، ورضي أفعاله. ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ أي خارجون عن الإيمان بنبيهم لتحريفهم، أو عن الإيمان بمحمد ﷺ لنفاقهم»[3].

(جـ) الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

ومن الصفات الذميمة التي خرج المنافقون بسببها من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر وفسقوا بها عن أمر ربهم: تشابههم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض أيديهم عن ترك الجهاد وفيما يجب عليهم من حق، قال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[4]. فكان عاقبة أمرهم أن تركهم الله سبحانه وتعالى في الشك، وصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه.

(د) الكسل في العبادة أو تركها والكراهة في النفقة:

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾[5].

---

(١) المائدة: ٨٠، ٨١.
(٢) روح المعاني: ٦ / ٢١٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٢٤١.
(٤) التوبة: ٦٧.
(٥) التوبة: ٥٣.

قال ابن عباس: «نزلت في الجد بن قيس إذْ قال: ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به»[(١)]. ثم علل سبحانه عدم قبول النفقات من المنافقين بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾[(٢)].

قال ابن عباس: «إن كان في جماعة صلى، وإن انفرد لم يصل، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثواباً ولا يخشى في تركها عقاباً»[(٣)].

وإذا كان المنافقون يعدون ما ينفقون مغرماً ومنعها مغنماً – وهو كذلك كما أخبرت الآية الكريمة – فهي غير متقبلة ولا مثاب عليها، ولا ينفعهم الاستغفار، لخروجهم عن أمر الله ونهيه، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[(٤)].

ثم منع سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين من الصلاة على المنافقين لفسقهم – كما أسلفنا – وذلك بقوله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[(٥)].

(هـ) تخلفهم عن الجهاد وحلفهم الأيمان الكاذبة:

من عادة المنافقين: التخلف عن الجهاد، واختلاق الأعذار الكاذبة. وقد تكرر ذلك في مواقف عديدة، منها: غزوة تبوك، فأخبر الله تعالى عن المنافقين بأنهم سيعتذرون إلى المسلمين إذا ما رجعوا إلى المدينة.

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي ص ١٨٥ وجامع البيان للطبري ٩ / ١٠٦ والمحرر الوجيز: ٦ /٥٢٢.

(٢) التوبة: ٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ١٥٢.

(٤) التوبة: ٨٠.

(٥) التوبة: ٨٤.

قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

فما دام المنافقون فاسقين خارجين عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك والنفاق والمعاصي، فإن الله لا يرضى عليهملوجود المانع من رضاه، من الكذب والتقاعس عن الجهاد، وحلف الأيمان وانتحال الأعذار الكاذبة.

---

(١) التوبة: ٩٥، ٩٦.

المَبْحَثُ الرَابِعُ
الفسق بمعنى العصيان

وأحياناً يأتي مفهوم الفسق في القرآن الكريم بمعنى مغاير للكفر والشرك والنفاق، ويراد به العصيان، سواء كان بعمل الكبائر أو الصغائر مع الإصرار عليها، قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[(١)].

فقد تدرّج القرآن الكريم – كما في الآية السابقة – فيما كرّهه إلى المسلمين من الكفر إلى الذنوب الكبيرة، إلى جميع المعاصي، كبيرها وصغيرها.

واجتماع الألفاظ الثلاثة في آية واحدة دلالة على أن الفسوق غير الكفر وغير العصيان، وإلا كان تكراراً، والأمر ليس كذلك.

قال ابن كثير: «وبغض إليكم الكفر، والفسوق وهي الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة»[(٢)]. وفي الحديث: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [(٣)].

وفيما يأتي نسوق الأمثلة الدالة على هذا المعنى:

(١) العصيان بمخالفة بني إسرائيل أمر موسى عليه السلام في دخول الأرض المقدسة:

قال تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[(٤)].

قال البغوي: «﴿وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ العاصين»[(٥)].

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٤٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن: ٤ / ١٩٠٩، ح٦٠٤٤.

(٤) المائدة: ٢٥.

(٥) معالم التنزيل: ٢ / ٢٣٤ [معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر].

وقال السعدي: «ودل ذلك، على أن قولهم وفعلهم- ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ - من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق»(١).

(٢) إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(٢).

قال القرطبي: وفسق قوم موسى بسبب ميلهم عن الحق والهدى، مع علمهم به، وتعمد إيصال الأذى إلى موسى من مثل قولهم له: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾(٣)، وقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾(٤)، وقولهم: إنك قتلت هارون، ورموه بالأدرة(*)، ودسهم لامرأة تدعي على موسى الفجور(٥).

هذا العصيان لموسى عليه السلام أدى بهم إلى الكفر والشرك بالله، فعاقبهم الله سبحانه وتعالى بأن أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، وأورثهم الضلالة في قلوبهم، عقوبة لهم على فعلهم لما تركوا ما أمروا به، من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ١٩٠.
(٢) الصف: ٥
(٣) الأعراف: ١٣٨.
(٤) المائدة: ٢٤.
* الأدرة: نفخة في الخُصية، يقال: رجل آدَرُ بَيِّنُ الأدَر، بفتح الهمزة والدال، وهي التي تسميها الناسُ القيلة [النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٣١]. والمأدور: من يصيبه فتقٌ في إحدى خصيتيه. [انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي: ١/ ٦٨٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١].
(٥) تفسير القرطبي: ١٨ / ٨٠.

(٣) إتيان المعاصي حال الإحرام بالحج:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾(١).

قال البخاري: «الفسوق: المعاصي والجدال والمراء»(٢).

وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ يعني جميع المعاصي كلّها، قاله ابن عباس وعطاء والحسن. وكذا قال ابن عمر وجماعة: الفسوق إتيان معاصي الله عز وجل في حال إحرامه بالحج، كقتل الصيد وقصّ الظفر وأخذ الشعر، وشبه ذلك(٣).

وهذا القول هو الأرجح لقوله ﷺ: (من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (٤).

(٤) فعل الفواحش والمنكرات وعمل الخبائث:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾(٥).

وهذه الخبائث هي: اللواطة، والضراط، وحذف الحصى. ذكر ذلك عامة المفسرين(٦). فكانت النتيجة أن قلب الله بهم قراهم وجعل عاليها سافلها جزاءً بما كانوا يفسقون. وأحياناً يكون الفسق بسبب الترف الذي يجرُّ صاحبه إلى فعل الفواحش والمنكرات، فيسبق إليه قدر الله بالدمار قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٧).

---

(١) البقرة: ١٩٧.
(٢) صحيح البخاري: كتاب الحج، باب قوله تعالى " الحج أشهر معلومات ": ١/ ٤٦٩.
(٣) تفسير القرطبي: ٢ / ٤٠٠.
(٤) صحيح البخاري: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور: ١/٤٥٥، ح١٥٢١.
(٥) الأنبياء: ٧٤.
(٦) انظر فتح القدير، و القرطبي: ١٣ / ٣٥٥.
(٧) الإسراء: ١٦.

والمقصود بالترف: بطر النعمة بسبب سعة العيش، والمترفون: هم المنعمون. وعند المفسرين هم الجبابرة المتسلطون والملوك الجائرون[١].

(٥) القذف:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٢].

وقد وصم القاذف بالفسق والخروج عن طاعة الله، وذلك لانتهاك ما حرّم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس على الكلام بما تكلم به وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب[٣].

ونتيجة فسقه هذا ردُّ شهادته - ولو حُدَّ على القذف - حتى يتوب، ويكذب نفسه، ويصلح عمله.

(٦) كفران النعمة:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٤].

والمقصود هنا بالكفر. كفران النعمة الذي هو من العصيان، وليس الكفر بالله سبحانه وتعالى[٥]. ووصفهم بالفسق، لجحودهم نعمة الأمن والتثبيت للدين، والاستخلاف في الأرض.

---

(١) فتح القدير: ٣ / ٢١٤.
(٢) النور: ٤.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ٥١٠.
(٤) النور: ٥٥.
(٥) انظر القرطبي: ١٢ / ٣٠٠، وفتح القدير: ٤ / ٤٩.

(٧) الكذب:

ولما كان الكذب من الكبائر- وهو فسق- فقد طلب الحق جلّ وعلا التثبت من خبر الفاسق، ليحتاط له، ولئلا يحكم بقوله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[١]. وفي قراءة (فتثبتوا) [٢].

قال ابن كثير: ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر.

وسبب نزول الآية، ما أخبر به الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن بني المصطلق، بأنهم قد ارتدوا عن الإسلام وهموا بقتله عندما بعثه النبي ﷺ مصدقاً إليهم، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لله تعالى ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: (إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ أن يغزوهم فسمع القوم رجوعهم فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه، ونكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما ردّه من طريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ يعني الوليد بن عقبة[٣].

وقد جازاه الله سبحانه وتعالى بأن سماه فاسقاً، ففضحه جزاء فعلته وكذبه على رسول الله ﷺ، وأنزل به قرآناً يتلى إلى يوم الدين.

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ٣٠١،[عبد الفتاح القاضي-دار الكتاب العربي-بيروت، ١٤٠١هـ ط١].

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٢.

(٨) التنابز بالألقاب والسخرية بالناس:

نهى سبحانه وتعالى عن التنابز بالألقاب، والسخرية بالناس وعدّه من الفسوق الذي لا يجتمع مع الإيمان الكامل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(١)].

وسبب الفسوق هنا احتقار الناس، واستصغارهم، وهذا حرام وخروج على الآداب الشرعية التي حدّها سبحانه وتعالى، فقد يكون المُحْتَقَرُ أعظم قدراً عندالله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له، ومن لم يتب من الهمز واللمز فهو فاسق ظالم لنفسه، وظالم لغيره، عاص لربه بارتكابه ما نهى الله عنه، وبوصفه الناس بأوصاف وأسماء لا تليق بهم.

---

(١) الحجرات: ١١.

الخاتمة والنتائج المستخلصة

- الفسق نوعان: فسق اعتقاد، وفسق عمل. أما فسق الاعتقاد فينقسم إلى قسمين:

١ - فسق اعتقاد وبدعة يخرج صاحبه من الدين، كمن يعتقد أن القرآن من كلام محمد ﷺ، وليس وحياً من عند الله تبارك وتعالى، كما هو شأن المشركين واليهود والمنافقين، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾(١)، أو من يعتقد أن الدين ظاهرة اجتماعية. فمن اعتقد بذلك يكون قد خرج من الدين بفسقه هذا، وتردُّ شهادته.

٢ - فسق إعتقاد ببدعة دون الكفر، كأهل الأهواء من الرافضة والخوارج، والمعتزلة والقدرية وأمثالهم.

أما فسق العمل فهو أيضاً يقسم إلى قسمين:

أ - فسق مفضي إلى الكفر، وذلك باستحلال ما حرّم الله، والاستهزاء بالدين وأحكامه.

ب - وفسق دون الكفر، وذلك بارتكاب المعاصي، والتهاون فيها، من مثل الزنا، والقتل، واللواط، وشرب الخمر، والقذف، والتولي يوم الزحف، وأكل الربا، والكذب كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(٢).

- مفهوم الفسق أعم من مفهوم الكفر، فيقال للعاصي: فاسق، وللمنافق فاسق، وللمشرك فاسق، وللكافر فاسق، لخروجهم عما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة.

- يكون الفسق بمعنى الكفر إذا كان سببه التكذيب برسالة محمد ﷺ، أو التحريف والتبديل في الكتب السابقة، أو التكذيب بالرسل وباليوم الآخر، أو

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الحجرات: ٦.

إتباع شرع غير شرع الله، أو الكفر بالقرآن العظيم، واتباع الحيل، واستحلال ما حرّم الله سبحانه.

- أما الفسق بمعنى الشرك، فمن أبرز أسبابه المفضية إليه:
الإستقسام بالأزلام، والذبح لغير الله تعالى، وصرف العبادة للشركاء.
- وقد وصف سبحانه المنافقين بالفسق، لما يتصفون به من صفات قبيحة، وخصال ذميمة: كالكذب في الحديث، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، ونقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض، والنهي عن المعروف و الأمر بالمنكر، وموالاة الكافرين، والتخلف عن الجهاد.
- وأحياناً يأتي الفسق بمعنى العصيان، من مثل عصيان بني إسرائيل لأمر موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة، أو إيذائهم له، وكذلك بإتيان المعاصي أثناء الإحرام بالحج، وفعل الفواحش، وعمل الخبائث، وكفران النعمة، والقذف، والكذب، والتنابز بالألقاب واحتقار الناس.
- عاقبة الفسق وخيمة بكل أنواعه، سواء بالعقوبة الحسية العاجلة في الدنيا، بتسلط الأعداء، أو القتل والأسر، أو الهلاك بسنة من سنن الله المعروفة في الأمم السابقة، أو بالعقوبة المعنوية، من الحيرة، والشك، والقلق، والكرب، ومن ثم الكفر بالله سبحانه، أو بتأجيل العذاب ليوم الدين، أو بالجمع بين أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، بما تقتضيه حكمة الله ومشيئته.
- لهذا وذاك نوصي بالبعد عن كل الأسباب المؤدية إلى الفسق صغيره وكبيره، واجتناب أنواعه وأقسامه، امتثالاً لأمر الله، واجتناباً لنواهيه، واعتباراً بآياته، وقصص الأولين، والعاقل من اتعظ بغيره.
- اللهم إنا نعوذ بك من الكفر والفسوق والعصيان، اللهم آمين.

المراجع والمصادر

١ – ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٢ – ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض.

٣ – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٣٨٤ هـ، ط١.

٤ – ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ١٣٩٨ هـ، ط١.

٥ – ابن فارس، أحمد بن الحسين،معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبدالسلام هارون(١٩٨١)، مكتبة الخانجي، مصر.

٦ – ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ط١.

٧ – ابن منظور، محمد بن مكرَّم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٨ – أبوبكر، محمد بن القاسم الأنباري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ط١.

٩ – الأصفهاني، الحسين بن أحمد المشهور بالراغب، مفردات ألفاظ القرآن، مكتبة الأنجلوا المصرية، بدون تاريخ.

١٠– الألوسي، محمود أفندي، روح المعاني، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

١١– البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٥هـ، طبعة جديدة.

١٢– البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٣- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ، ط١.

١٤- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير)، دار الغد العربي، القاهرة، ١٤١٢، ط١.

١٥- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ، ط٧.

١٦- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير،دار المعرفة،بيروت،بدون تاريخ.

١٧- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تاويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

١٨- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ط١.

١٩- العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ط١.

٢٠- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

٢١- القاضي، عبدالفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ، ط١.

٢٢- هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٢٣- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ط١.

٢٤- النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٥- النووي، يحيى بن شرف الدين، شرح صحيح مسلم، دار أبي حيان،١٤١٥هـ، ط١.

٢٦- وزارة الأوقاف الكويتة، الموسوعة الفقهية، الكويت، ١٤١٥هـ.

٢٧- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، ١٤١٣هـ، ط١.

٢٨- الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٢٩- ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ط٣.

Al-Quran's Description of the Concept and Forms of "Fisq" (Deviation)

Dr. Shafi' Theban Al-Hariri
Faculty of Sharia and Arabic Language, Ra's Al-Khaymah, United Arab Emarates

- Fisq (فِسْق) (deviation) is a Quranic term that means deviating from the commands of Allah and disobeying Him by neglecting duties or violating prohibitions. Fisq occurred in a number of the Quranic verses as a counter-term to Iman (belief) covering various concepts such as disbelief, polytheism and hypocrisy, in addition to a number of sins and all sorts of deviating from the code of Islam.
- The concept of fisq is broader than that of "kufr" (disbelief). It could be applied to sinners, hypocrites and polytheists because all of them have deviated from the requirements of intellect and Fitrah (innate human nature). Fisq is of two types: fisq of belief and fisq of deeds.
- Fisq indicating kufr is based upon its causes such as denying Divine Messages and Messengers, changing and distorting Scriptures of Allah, rejecting Muhammad's (PBUH) Message, disbelieving in the Day of Judgment, following non-Divine Laws, using false trick to legalize what Allah has prohibited and disbelieving in the Glorious Al-Quran.
- Fisq indicates Shirk (polytheism) when referring to polytheistic acts such as using arrows seeking luck, slaughtering or making devotions to glorify other than Allah.
- Allah (SWT) has applied fisq to hypocrites because of their bad characteristics such as telling lies, breaking promise and oaths, betraying, severing what Allah has commanded to be joined, making mischief in the earth, forbidding good and commanding bad, allying with non-believers and abstaining from joining jihad.
- Fisq, sometimes, is used to mean disobedience, such as: Israelites' disobeying the command of Moses' (PBUH) to enter the Holy land and their hurting him, committing sins during the state of Ihram in Hajj, doing great sins, ungratefulness, accusing others with adultery, insulting others by using bad nicknames or disrespecting others.
- The results of all types of fisq are disastrous whether in this life: enemies' domination, killing or captivity, destruction, confusion, doubt, restlessness, upset, or in the Hereafter: severe punishment.
- The perpetrator of fisq in belief will abide in Hellfire forever, while the destiny of the perpetrator of fisq of acts is left to Allah either to punish him or to forgive him. Only Mu'tazilites among Muslim theological schools said that perpetrator of major sins was neither a believer nor a disbeliever and that he is to remain forever in Hellfire.